﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ [آل عمران: 49]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكر الكتابَ المنزَّل على عيسى عليه السلام في الآية السابقة؛ حَسُنَ ذِكْرُ الرِّسالة على القول بأن الرَّسول بمعنى: الرِّسالة، فقال بعد ما أفاد عظمتها بجعله ما مضى مقدِّمات لها: ﴿وَرَسُولًا﴾؛ فكأنَّ ما مضى من الآياتِ كانت تمهيدًا لهذه الرسالة، فلقد كانت الغاية الَّتي أُعِدَّ لأجلها[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كَهَيۡـَٔةِ﴾: جذر الكلمة: (هَيَأ)، فهو مهيَّأ لكذا، ومتهيِّئ له، وهيَّأته، فتهيَّأ، وما أحسن هيئته، وهيئاتهم! ورجل هيِّئٌ: ذو هيئة[2]، الْهَيْئَةُ: هِيَ الْحَالَةُ الظَّاهِرَةُ لِلْمُتَهَيِّئِ لِلشَّيءِ، والحالة التي يكون عليها الشيء، محسوسةً كانت أو معقولة، لكن في المحسوس أكثر، وهاءَ للأمر كباعَ: أخذ له هيئتَه، ومن هذا أو من الشوق وهو أقرب: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: 23] على قراءتها بضم التاء وكسر الهاء – مع الهمز أو التخفيف – أمَّا على القراءة بفتح الهاء والتاء بينهما ياء ساكنة فهي اسم فعل أمر بمعنى أَسْرِع، وهاءُ: كلمةٌ تستعمل عند المناولة، نُقِلت من طلب الاستعداد إلى طلب الأخذ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾ [الحاقة: 19][3].

2) ﴿وَأُبۡرِئُ﴾: جذر الكلمة هو: (برأ)، وله أَصْلَانِ يرْجِعُ إِلَيْهِمَا فُرُوعُ الْبَابِ: أَحَدُهُمَا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 4/402.
(2) الزَّمخشريُّ، أساس البَلاَغة: (هيأ).
(3) الراغب، المفردات (هيأ)، وأبو حيان، البحر المحيط: 5/294، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (هيأ).

الْخَلْقُ، يُقَالُ: بَرَأَ اللهُ الْخَلْقَ يَبْرَؤُهُمْ بَرْءًا، وَالْبَارِئُ من أسماء اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: 24] وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: التَّبَاعُدُ مِنَ الشَّيْءِ وَمُزَايَلَتُهُ، ومِنْ ذَلِكَ الْبُرْءُ وَهُوَ السَّلَامَةُ مِنَ السُّقْمِ، وبرَّأته: صحَّحت براءته، قال تعالى: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾ [الأحزاب: 69]. واستبرأتُ أرضَ بني فلان: ما وجدت فيها ضالَّتي، واستبرأ من بوله؛ إذا استنزه، وفلان بارئ من عِلَّته[1]. والمعنى هنا: وأَشْفي.

3) ﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾: جذر الكلمة هو: (كَمَه)، الأعمى، أو الذي ولد أعمى[2]، وفي (الأكمه) أربعة أقوال: أحدها: أنَّه الذي يُولد أعمى، والثاني: أنَّه الأعمى، والثالث: أنَّه الأعمش، والرابع: أنَّه الذي يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل[3]، ومن المجاز: هو في عمهٍ وكمهٍ: في ضلال وعمًى، وخرج يتعمَّه، ويتكمَّه، أي: يذهب متحيِّرًا ضالًّا، لا يدري أين يتوجَّه[4].

4) ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾: جَذرُ الكلمة: هو (بَرَص)، أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ فِي الشَّيْءِ لُمْعَةٌ تُخَالِفُ سَائِرَ لَوْنِهِ، والبَرَصُ: داءٌ، والبَرَصُ: بَيَاض يَقع فِي الْجلد مَعْرُوف، وحيَّة برصاء: فِي جلدهَا لمع بَيَاض[5]، والأبرص المصاب بداء البرص، وهو داءٌ جلديٌّ له مظاهر متنوِّعة، ويقال: كانَ بيده بَرَص، قال تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه: 22][6]، وأعرَاضُ البَرَصِ: بُقَعٌ بيضاء شديدة البَيَاض تظهر على الجلد، فإنْ كانت غائرة في الجلد؛ فهو البَرَصُ، وإن كانت مساوية لسطح الجلدِ؛ فهو البهاق، ثمَّ تنتشر على الجِلد، فربَّما عمَّت الجلد كلَّه حتى يصير أبيض[7].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تبيّن الآيةُ الكريمةُ المعجزاتِ النَّبويَّةَ الدالَّةَ على أنَّ - عيسى عليه السلام - رسولٌ إلى بني إسرائيل، وأنَّها آياتٌ حسِّيَّة - تدلُّ على أنَّه مرسل من الله - لا علامة واحدة، وهي كما أخبر، المعجزة الأُولى: أني أصنعُ لكم من الطين مثلَ شَكْلِ الطير، فأنفخ فيه فيكون طيرًا

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، وابن سيده، المُحكم، والراغب، المفردات، والزَّمخشري، أساس البَلاَغة: (برأ).
(2) الخليل، العَين: (كمه).
(3) ابنُ الجوزيِّ، زاد المَسير: 1/284.
(4) الزَّمخشري، أساس البَلاَغة: (كمه).
(5) ابن دريد، جمهرة اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (برص).
(6) الخليل، العَين: (برص).
(7) ابنُ عَاشُور، التَّحريرُ والتَّنوير: 3/251.

حقيقيًّا بإذن الله، والمعجزة الثانية: وأَشفي من الأمراض المُزْمنة كمَن وُلِد أعمى، ومَن به بَرَص، والمعجزة الثالثة: وأُحيي مَن كان ميتًا بإذن الله، والمعجزة الرابعة: وأخبركم بما تأكلون وتدَّخرون في بيوتكم من طعامكم. إنَّ في هذه الأمور العظيمة التي ليست في قدرة البشر لدليلًا على أنِّي نبيُّ الله ورسوله، إن كنتم مصدِّقين حُججَ الله وآياتِه، مقرِّين بتوحيده[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة الحذف في قوله: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾:

الحذف تغزير للمعنى، وتكثير للوجوه

فتح الحذف بابًا من الوجوه وعلى كلِّ وَجْهٍ يَرِدُ معنًى، والمعاني كلُّها متعانقة، فالرسم واحد، والمعنى متعدِّد، ففي هذه الآية وجوه:

الأول: تقدير الآية: ويعلِّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، ويبعثه رَسُولًا إلى بني إسرائيل قائلًا: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، والحذف حسن؛ إذا لم يفضِ إلى الاشتباه. الثاني: قال الأخفش: إن شئت؛ جعلت (الواو) زائدة، والتقدير: ويعلِّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل رَسُولًا إلى بني إسرائيل، قائلًا: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ﴾[2]، وقال الزجَّاج: تقديره: (وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ رَسُولًا)، وإنَّما أضمرنا ذلك لقوله: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم﴾، والمعنى: ويكلِّمهم رَسُولًا: بأنِّي قد جئتكم. الثالث: ويمكن أن يكون معطوفًا على قوله: ﴿وَكَهۡلٗا﴾، أي: وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ (طفلًا - وكَهلًا - ورَسُولًا) إلى بني إسرائيل؛ قاله ابن عطية[3]، والوجوه كلُّها تتكامل، وتتلاقى، وفي الحذف إيجازٌ واختصارٌ، وعنايةٌ بالمخاطب، وإلاحةٌ إلى تدبُّر المعاني.

لفظ ﴿وَرَسُولًا﴾ في هذا الموقع يحتمل: أن يكون وصفًا، بمعنى:

(1) نخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 56.
(2) الرَّازي، مفاتيح الغَيب: 8/48.
(3) أبو حيَّان، البحر المُحيط: 3/161.

اسم المفعول، أو أن يكون مصدرًا؛ وبيان ذلك أنَّه يمكن أن يكون وصفًا، بمعنى: المُرسل على ظاهر ما يُفهم منه، أي: مرسلٌ إلى بني إسرائيل. أو هو مصدر، بمعنى: رِسَالة؛ إذ قد ثبت أنَّ رَسُولًا يكون، بمعنى: رسالةً، ومِمَّن جوَّزَ ذلك فيه هنا: الحوفيُّ وأبو البقاء، وقالا: هو معطوف على الكتاب، أي: ويعلِّمه رسالةً إلى بني إسرائيل، فتكون رسالة داخلةً فيما يعلِّمه الله لعيسى. وأجاز أبو البقاء في هذا الوجه أن يكون مصدرًا في موضع الحال[1].

وجه انتفاء لفظ الرسول في الجملة

علّة اختصاص بني إسرائيل بالذكر:

وذكرَ بني إسرائيل خاصّة مع أنَّ دعوته كانت تعمّ كل الذين عَلِموها من اليهود والرومان وغيرهم؛ حتى يجيء من السماء ما ينسخها أو يكملها برسالة عامة خالدة هي رسالة محمد بن عبد الله ﷺ؛ والسبب في اختصاص بني إسرائيل بالذكر أنهم هم الذين خرج عيسى من بينهم، فهو منهم، وقد كانوا يدَّعون أنهم أولى الناس بعلم الرسائل الإلهية، وكانت دعوته بينهم، وانبعثت منهم إلى غيرهم، فكان تخصيصُهم بالذِّكر، فيه إشارة إلى حقيقة واقعة وتوبيخ لهم؛ لأنهم أوتوا العلم برسالات الأنبياء، مع ذلك كفروا برسولٍ مبعوث منهم، أوتي بمعجزات لَا تجعل للعقل مساغًا لإنكار[2].

اختصَّ بني إسرائيل بالذِّكر لكون عيسى خرج من بينهم؛ وفيه توبيخ لهم

بلاغة التعبير بمقول القول على طريق التوكيد:

جاء قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مشحونًا بالتوكيد، فأكِّد بـ (أنَّ) واسميَّة الجملة، و(قد) الداخلة على الماضي؛ ليفيد تخصيص الخبر به عليه السلام، وتأكيد تحقّقه بالتعبير عن المستقبل بالفعل الماضي فالظاهر أنَّ الحدث والمجيء بالآيات يُقصد به المستقبل على قول من قال: إنَّ ذلك كان كلامه في المهد، فيكون التعبير بالماضي

معجزاتُ الرُّسُل هي امتدادٌ لأحوالِ أقوامِهم ومَا هُم بَارِعُون فِيه؛ ليكون التَّحدِّي على أعلى درجاته

(1) أبو حيَّان، البحر المُحِيط: 3/160.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3/1228.

مكان المستقبل مع إحاطته بالمؤكِّدات تحقيقًا لحصوله، ويؤكِّد هذا المعنى ما جاء في التَّعبير التفصيلي عن الآيات بصيغة المستقبل: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ﴾.

معنى الباء اقتران المجيء بالآيات، وملابستها بها

فائدة حرف الباء في لفظ ﴿بِـَٔايَةٖ﴾:

قوله: ﴿بِـَٔايَةٖ﴾ متعلقةٌ بمحذوفٍ وقعَ حالاً من فاعل الفعلِ على أنها للملابسة، أي: مصاحبًا للآيات الدَّالَّة على صدقي في هذه الرسالة المعبَّر عنها بفعل ﴿جِئۡتُكُم﴾.

إفراد (آية) تعبيرٌ عن وحدة الغرض، والتنوين للتفخيم والدلالة على تعدّدها وكثرتها

سرّ الإفراد، والتنوين في لفظ ﴿بِـَٔايَةٖ﴾:

عبَّر بالمفرد ﴿بِـَٔايَةٖ﴾، وحقُّه أن يكون للجمع؛ لأنَّ المذكور آيات، لا آية واحدة؛ اعتبارًا بوحدة الغرض والمقصود من الآيات - وإن تعددت - إثبات وحدانية الله تعالى، وألوهيته. ورسّخ التنوينُ هذا الاعتبار؛ إذ أفادَ التفخيم، دون الوحدة لظهور تعدُّدها وكثرتها[1].

أدّت (مِن) معنى كينونة الآية من الله تعالى، وملابسة المجيء بها

فائدة التعبير بـ﴿مِّن﴾:

﴿مِّن﴾ في قولِه تعالَى: ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ لابتداء الغايةِ مجازا متعلقةٌ بمحذوف وقعَ صفةً لآيةٍ أي قد جئتُكم ملتبساً بآية عظيمةٍ كائنةٍ مّن رَّبِّكُمۡ أو أتيتكم بآية عظيمة كائنة منه تعالى[2].

إيثار لفظ الربوبيّة لمناسب حال الآيات المذكورة بعده، وتأكيد الامتثال لما سيأتي من الأوامر

سرّ إيثار لفظ الربوبية مضافًا إلى المخاطب:

التعبير بالرُّبوبيَّة ملائم حال المخاطبين، وملائم حال الآيات المذكورة بعد،، وقيَّد مجيء الآية بقوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ لما في التعرُّض لعنوان الربوبيَّة ﴿رَّبِّكُمۡ﴾ مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين من تأكيد إيجاب الامتثال لما سيأتي من الأوامر، ومواجهة لقومه بضمير الحضور الواثق بالله وحده[3].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/38.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/38.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/38، والآلوسيُّ، روح المَعاني: 2/161.

بلاغة كمال الاتصال، ولطائف التراكيب في بسط المعجزة في قوله: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾:

قوة المعجزة في كونها من الله، وعظمتها في الإذن منه؛ وهي لازمة لتأييد الرسل

وقعت الجملة من سابقتها موقع كمال الاتصال، فهي بمنزلة بدل الجزء من الكلِّ، وهي في التناسب تفصيل بعد إجمال، وفيه من تأكيد المعجزة ما فيه؛ حيث سبق ذكرها ضمنًا في الإجمال، ثم أفردت بالتفصيل، ثم إنَّ النَّصَّ تفصيلًا على كيفيَّة المعجزة فيه بيانٌ لقدرة الله على خلق الشيء بدون أسباب معتادة، فلقد اعتاد الناس على أنَّ الطيور من البيض لا بالتَّوالد، ثم بيّن تفرُّد الجنس الذي خلق منه الطير ﴿مِّنَ ٱلطِّينِ﴾، احترس في قوله: ﴿مِّنَ ٱلطِّينِ﴾؛ تقييدًا بأنَّه لا يوجد من العدم الصرف، بل ذكر المادة التي يشكِّل منها صورة[1]، والتعبير بالتشبيه كشف عن أنَّه ليس من الطريق الأصلي، ثم عطف قوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ بالفاء التي تدلُّ على عدم المهلة، ودخلت الفاء على ضمير المذكر؛ لتعود على الطير، وفي موضع آخر ذكره بضمير المؤنث، ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ [المائدة: 110]؛ لتعود على الهيئة، فعاد النفخ مرَّة على المضاف وأخرى على المضاف إليه، استيفاء للمعجزة من طرفيها، ثم ذكر القيد ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾؛ لإظهار العبودية، ونفي توهُّم المشاركة في خلق الكائنات.

وفي قوله: ﴿طَيۡرَۢا﴾ بلاغة عالية، فـ﴿طَيۡرَۢا﴾ هنا، معناه: حيًّا طائرًا، لكنَّه عبَّر بالاسم؛ ليسقط الزمن في الطيران، ويتَّجه للحدث في حدِّ ذاته؛ وفيه بيان لقدرة الله وإظهارٌ للمعجزة مع إيجاز بالغ؛ لذا قال: كن طائرًا بإذن الله، فخرج يطير بين كفِّيه.

والعجب في التناسب اللَّطيف بين مَن أُجريت على يده المعجزة، وبين الإعجاز في خلقه هو نفسه: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم:

(1) أبو حيَّان، البحر المُحيط: 3/163.

12]، وقد فصَّل في هذه المعجزة تفصيلاً مبسوطًا؛ لكونها الأقهر، وكأنَّها المعجزة الكبرى، ورأس المعجزات في التأييد، والخلق: حقيقته تقدير شيء بقدر، ومنه خلق الأديم: تقديره بحسب ما يراد من قطعه قبل قطع القطعة منه، قال زهير[1]:

ولأَنْتَ تَفْري ما خَلَقْتَ وبعـ***ضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثمَّ لا يَفْري

يريد: تقدير الأديم قبل قطعه، والقطع: هو الفري، و(خلق) يستعمل مجازًا مشهورًا، أو مشتركًا في الإنشاء والإبداع على غير مثال ولا احتذاء، وفي الإنشاء على مثال يبدع، ويقدر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: 11]، فهو إبداع الشيء وإبرازه للوجود، والخَلْق هنا مستعمل في حقيقته، أي: أقدِّر لكم من الطين ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾، وليس المراد به خلق الحيوان بدليل قوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾[2].

فمعنى: أخلق: أقدِّر، وأهيِّئ، والخلق: إبراز العين من العدم الصرف إلى الوجود، وهذا لا يكون إلا لله تعالى، ويكون بمعنى: التقدير والتصوير؛ ولذلك يسمُّون صانع الأديم ونحوه: الخالق؛ لأنَّه يقدر، وأصله في الأجرام، وقد نقلوه إلى المعاني، قال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17]، ومِمَّا جاء الخلق فيه – بمعنى: التقدير – قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 14]، أي: المُقَدِّرين[3].

بلاغة الإيجاز في معجزتي الشفاء:

تخصيص هذين الأمرين - لبيان عجز الأطباء مع حذقهم - آيةٌ كبرى

في قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ أوجز القرآن ذكر هاتين المعجزتين، ووضعهما خاليين من القيد المذكور في المعجزة الأولى والرابعة، فاكتفى بإيقاع معنى القيد بالعطف؛ استدلالاً بما ذكر مع ما قبلهما، وما بعدهما، وقدّم أعجزهما للطبِّ أولًا؛ لكونه أظهر في الكشف عَنْ عَجْزِ ما حذقَهُ أَهْلُ زمانه، وأتبعه بما هو أقلُّ منه ظهورًا في الإعجاز.

(1) ابن طَبَاطِبَا، عِيَارُ الشِّعر: 177، والجرجاني، دلائل الإعجاز: 114.
(2) ابنُ عَاشُور، التَّحريرُ والتَّنوير: 3/250.
(3) أبو حيَّان، البحر المُحيط: 3/163.

بلاغة تقييد معجزة الإحياء بالإذن:

جاءت المعجزة في قوله تعالى: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ معطوفة على ما قبلها ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، ولم تُبْنَ على البسط كالمعجزة الأولى، فلم تتضمَّن كيفيَّة الإحياء، كما تضمَّنت الأولى كيفيَّة الخلق؛ ولأنَّه إحياءٌ من موتٍ ذُكِرَ القَيْدُ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، كما فعل في الأول؛ لأنَّه فعلٌ إلهيٌّ خارق عظيم ليس من جنس أفعال البشر، وكان إحياؤه بالدُّعاء، ولم يذكر هذا القيد مع معجزتي إبراء الأكمه والأبرص؛ لكون التطبيب من جنس أعمال البشر. قال الراغب: " إن قيل: لِمَ ذكر في الخلق وفي إحياء الموتى ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. ولم يُذكر في غيرهما؟ قيل: لكون هذين الفعلين إلهيّين، لم يجعل للمخلوقين إليهما سبيلًا. بخلاف النفخ والمداواة والإخبار ببعض الغيب، فقد جعل للإنسان كثيرًا من المداواة، وجعل لهم شيئًا من الإخبار بالغيب كالفِراسة"[1].

الإحياءُ فعلٌ إلهيٌّ خارق عظيم ليس من جنس أفعال البشر

بلاغة تكرار إذن الله تعالى:

كرَّر قوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ مبالغةً في دفع وَهْمِ مَنْ توهّم فيه اللَّاهوتية؛ فإحياءُ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ تعالى وحده لا باستقلالٍ منه[2]. فتكرارُ الإذن مبالغةٌ في نفي توهّم الألوهية فيه عليه السلام.

بلاغة المتشابه اللفظي:

كرر لفظه: ﴿بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110] في المائدة أربع مرات، وهنا مرتين؛ لما كان في سورة المائدة في معرض تعداد النعم، والامتنان من الله تعالى على عيسى، فناسب تقييد الجمع فيها، بقوله: ﴿بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110] إِظْهَارًا لعجز الْبشر وَلِأَن فعل العَبْد مَخْلُوق للّه تَعَالَى، مع ما فيه من إشارة إلى توبيخ النصارى في زعمهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ

التكرار في الآيتين يناسب شدّة سياقها، وحال المخاطبين

(1) الراغب، تفسير الراغب: 2/574، وابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/358 - 359.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/39، القاسمي، محاسن التأويل: 2/320.

ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: 73]، وأن عيسى ابن الله إلى غير ذلك، كما يقول: أحدنا لغيره ألم أفعل لك كذا؟ ألم أُعْطِك كذا؟ ويعدِّد عليه نعمًا ثم يقول: أفعلَ لك ذلك غيري؟ فإذا اعترف به العبد انقطعت حُجَّةُ مَن ظَنَّ خِلَافه، فأعلمَ اللهُ أن تلك الأمور بإذنه، وكرَّر ذلك تأكيدًا لِدَفْع توهّم حولٍ أو قوّةٍ لغير الله، قال: وآية آل عمران إنما هي بشارةٌ لمريم، وإعلامٌ بما منح ابنها عيسى فقط؛ لأنَّ مَا فِي هَذِه السُّورَة كَلَام عِيسَى فَمَا يتَصَوَّر أَن يكون من فعل الْبشر أضافه إِلَى نَفْسه[1].

بلاغة التّعبير عن الإنباء، والإدّخار بالمضارع:

وجاءت الأفعال في قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ بالفعل المضارع الدال على التجدُّد والحدوث؛ لبيان أنَّ ذلك لا يقع مرَّة واحدة، وإنَّما هو أمر متكرِّر متجدِّد، وحالةٌ دائمة[2]. تأمَّل: لو قيل: وأنبأتكم، لكن المضارع دالٌّ على التجدُّد والحدوث مع ما فيه من استحضار الحدث، وقل: مثل ذلك في ﴿تَأْكُلُونَ﴾، و﴿تَدَّخِرُونَ﴾، وجاء بالاسم الموصول (ما) مع الفعلين؛ ليتوصَّل به إلى ذكر الصِّلة؛ لكونها عين المعجزة.

التعبير بالمضارع؛ لبيان أنَّ ذلك لا يقع مرَّة واحدة، وإنَّما هو أمر متكرِّر متجدِّد

قصديّة التعبير بالبيوت دون الدُّور:

ثم قيَّد الفعلين بقوله: ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾، ولم يقل: في دُوركم، ولا مساكنكم؛ لأنَّ البيوت آكد في الاستتار والخفاء، وفي كلِّ ذلك تعظيم لمعجزة العلم بالغيب، ف البيوت آكد في الاستتار والخفاء، وهو يناسب معجزة العلم بالغيب.

بلاغة جُملتَي التذييل:

ظاهر جملة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، "أنَّها من كلام عيسى؛ لاحتفافها بكلامه من قبلها، ومن بعدها؛ حكاه

معنى التذييل في الجملتين التوبيخ، والتقريع

(1) الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص 90، وابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/358.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/166.

اللّه عنه، وقيل: هو من كلام اللّه تعالى، استئناف؛ صيغته صيغة الخبر، ومعناه: التوبيخ والتقريع، وأُشير بذلك إلى ما تقدَّم من جعل الطِّين طائرًا، والإبراء والإحياء والإنباء"[1].

التّوكيد دليلُ قوّة المعجزة، واختصاصها بهم، مع احتمال معنى سفه عقولهم

وقد جاء التذييل في جملتين: الأولى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾، والثانية: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، والجملة الأولى جاءت مؤكَّدة بـ﴿إِنَّ﴾ واسميَّة الجملة، وتضمَّنت اسم إشارة للبعيد ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ تعظيمًا لشأن المعجزات المذكورة، وختم بما بدأ به؛ إذ عبَّر في الأولى ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾ مفردًا، وختم بما بدأ به ﴿لَآيَةً﴾؛ لكونها تحقِّق غرضًا واحدًا، فالغرض من المعجزات - مهما تعدَّدت - الوصول إلى الإيمان.

والجملة الثانية جاءت شرطيَّة، قُيِّد الفعلُ فيها بـ ﴿إِن﴾ الدَّالَّة على احتمال وقوع مدخولها، وحذف جواب الشرط، وتقديره: فاعتبروا، أو فآمِنوا، وفيه توبيخٌ لهم وتقريع؛ لكون الآيات قاهرةً للعقول، فجعل الإيمان معها محتملًا دلالةً على سفه العقول، كما أنَّ الأصل: إن كنتم تريدون الإيمان، لكنَّه عبَّر بالاسم؛ إلاحةً لقوَّة المعجزة التي إن تأمَّلها العقلُ المنصف؛ أنتجَتْ إيمانًا ثابتًا.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(أبرئ) و(أشفي):

من خصائص المعجزات أن تتجاوز حدود الإمكانات والخبرات البشريَّة

في قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾، والإبراء فيه معنى الاستنزاه من العلَّة وإذهاب هذه الأمراض الجلدية تمامًا، أمَّا الإشفاء فيكونُ باستعمال دواء بُغْية الإبراء، وشفاه ممَّا به: أبرأه، وشفاه، وأشفاه: طلب له الشِّفاء، واشفني عسلًا: اجعله لي شفاء، واستشفى: طلب الشفاء، واستشفى: نال الشفاء[2]، فكان عيسى عليه السلام

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/167.
(2) ابن سيده، المُحكم: 8/104.

يُبرئ الأكمه والأبرص بلا واسطة الدّواء، بل كان يمسح على العلَّة، فيُبرِئها، ولو استعمل مادَّةً؛ لسُمِّي ذلك إشفاءً من المرض أو العلَّة.

الإنباء والإخبار:

الإنباء إخبار عن أمر عظيم الشأن؛ موضوعًا أو شأنًا

عبَّر بالفعل ﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾، ولم يقل: (أخبركم)؛ لأنَّ الأول يُستعمل في الأمور الخفية، فهو من عظائم الأمور، والثَّاني يُستعمل في معتاد الأخبار، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ [النبأ: 1، 2]. فالإنباء: "الإخبار بالخبر العظيم، إما لموضوعه، وإما لعظم شأن الإخبار نفسه، والإخبار عن شيء من غير رؤيته، إخبار عظيم في ذات شأنه"[1].

(يأكل) و(يطْعَمُ):

من طبائع بني إسرائيل الحياتيَّة اهتمامهم بالجانب الاقتصادي، وما يستهلكون، وما يدَّخرون

قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾؛ دلالة الأكل هنا: الأرزاق، والأُكل: الرِّزق، وَالْجمع: آكالٌ، وَمِنْه قيل للمَيِّت: انقَطَع أُكْله، وآكالُ الجُنْدِ، بمعنى: أرزاقهم، إنَّه لَحسَن الأكلة، وهَذَا الشيءُ مَأْكَلَة لَك، بِالْفَتْح، وَلَا يُقَال: مَأْكُلَة، والمَأْكُلة: مَا جُعل لَك من غَيْر أَن تُحاسَب بِهِ[2]، فيظهر من المعنى المعجمي للأكل أنَّه مِمَّا يدخل في قضايا الرِّزق وحسابه؛ ولهذا فقد أورد معها الادِّخار، فقال: ﴿بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾، أي: بما تستهلكون من أرزاقكم، وما تحفظونه، فتدَّخرونه في بيوتكم، أمَّا الطعام؛ فالطَّعم: التَّذوُّق، طَعْم كُلِّ شيء: وهو ذوقه، وإنَّه ليَطْعم طعْمًا حَسَنًا، وهو حَسَنُ المَطعَم، كما تقول: حَسَنُ المَلْبَس، أي: طَعَامُهُ طيِّبٌ، ولباسُه جميل، وفلان حسن الطِّعْمَةِ كالجِلسة؛ لأنَّه ضَرْبٌ من الفعل، وليس بفَعْلَةٍ واحدة، وكلُّ ما يَسُدُّ جوعًا؛ فهو طَعام، قال

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3/1231.
(2) ابن سيده، المُخصّص: 1/447.

تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: 96][1]، فيظهر الفرق بين تأكلون، وتطعمون: أنَّ الأكل ما يُحسب اقتصاديًّا، أي: يمكن أن يكون أكل يوم أو أكل شهر؛ وهو ما تستهلكه الأسرة في تلك الفترة، أمَّا الطعام؛ فهو ما يتذوَّقه الإنسان ساعة أكله، ويستمتع به، ويسدُّ جوعَه منه.

(1) الخليل، العَين: (طعم) 2/25.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»